الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤–١٦؛
٥: ١–٦)

يا إخوةُ، إذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ الله، فَلْنَتمسَّكْ بالإعتراف* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَة* فلنُقبِل إذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعب*

أحد السجود للصليب

حدّدت كنيستنا المقدّسة الأحد الثالث من الصوم الكبير للسجود للصليب الكريم، حتّى يكون بمثابة خطوة أساسيّة في العودة إلى الحياة الفردوسيّة. السجود للصليب في نصف المسيرة الصياميّة يشابه شجرةَ الحياة التي غرسها الله وسط الفردوس وهكذا يكون مصدر حياة للّذين يقبلونه.

وعى الآباء القدّيسون أنّ الإنسان قد يبدأ بالتململ والشعور بالمرارة بعد ثلاثة أسابيع من الصوم، فوضعوا للمؤمنين خدمة السجود للصليب الكريم المحيي، ليذكّروهم بآلام الربّ يسوع التي كابدها على الصليب، فيتعزّون ويتشجّعون على المتابعة: إن كان إلهنا قد صُلب من أجلنا، فكم بالحريّ علينا أن نحتمل من أجل ما صنعه هو؟

تقدّم لنا الكنيسة، من ناحية أُخرى، عدّة صور لتقرّب إلى أذهاننا هدف هذه الخدمة. تصوّر لنا مسيرةَ الصوم كرحلةٍ يقوم بها المؤمن في طريق ضيقة وعرة، عندما يتعب من السير يجلس قليلاً تحت شجرة حسنة الظلّ، وعندما يرتاح قليلًا يعود لمتابعة طريقه. هكذا، وُضع الصليب وسط هذه المسيرة كي يمنح للمؤمن راحةً ويكون منشّطًا له في متابعة صيامه. أيضًا، تصوّر لنا كنيستنا الصليبَ كصولجان الملك. عند رجوع ملكٍ إلى مدينته ظافرًا تتقدّم علامته وصولجانه معلنَين عن قدومه، ثمّ يحضر هو فرحًا ومبتهجًا بظفره، ويفرح شعبه معه. هكذا، يكون الصليب علامة مجيء المسيح بعد ظفره على الموت بقيامته من بين الأموات التي سيحقّقها لاحقًا، وهو يسبقه معلنًا عن قدومه، فتبتهج قلوبنا ونستعدّ لاستقباله في يوم الفصح المجيد.

تشبّه الكنيسة أيضًا الصوم الأربعينيّ بمسيرة شعب الله في القفر مدّة أربعين سنة، وتذكر ما حدث عندما عطش الشعب وأظهر الله لموسى «عين مرّان» ليشرب الشعب منها، غير أنّ مياهها كانت مُرّة. وضع موسى عودًا في المياه فأصبحت حلوة صالحة للشرب. هكذا يفعل الله معنا: يحلّي

العدد ٢٠١٩/١٣
الأحد ٣١ آذار
الأحد الثالث من الصوم
(أحد السجود للصليب الكريم)
تذكار الشهيد في الكهنة إيباتيوس
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الحادي عشر

بعود الصليب الكريم المحيي المرارة الناتجة عن الصوم الأربعينيّ ويعزّينا ويشجّعنا، كأنّنا سائرون في الصحراء، إلى أن نبلغ أورشليم العقليّة بواسطة القيامة.

قارن الآباء القدّيسون، عندما نظموا الخدمة التي نتلوها هذا الأحد، بين الصليب من جهة وشجرة الحياة التي وضعها الله وسط الفردوس من جهة أُخرى. إنّ آدم لمّا خدعه العدوّ وذاق من الشجرة التي منعه الله أن يأكل منها لاحظ عريه، وجلب الموت لنفسه، أمّا شجرة الصليب فقد غُرست في الأرض وأتت للبشر بلباس الحياة. أصبحت الكنيسة فردوسًا آخر، على مثال الفردوس الأوّل، إذ حوت شجرة حاملة للحياة، التي عندما نلمسها نصبح عديمي الفساد. إنّها تدعو آدم وحوّاء اللَّذَين سقطا بأكلهما من العود قديمًا إلى أن يَقبلا العود المحيي بفرح هاتفَين نحوه: «أنت ناصرنا أيّها الصليب الكلّيّ الوقار، الذي لمّا تناولنا من ثمرته حصلنا على عدم الفساد واتّخذنا عدن الأولى ثابتة ونلنا الرحمة العظمى».

تذكّرنا الكنيسة أيضًا بآلام المسيح وقيامته، كما قلنا سابقًا، لأنّ ما فعله الربّ يسوع كان من أجل خلاصنا، لكي يعيدنا إلى فردوسه فنحيا معه. إنّ الديّان قد أُدين وتألّم طوعًا من أجل خلاص العالم وإعادة جبلته. بقيامة المسيح اضمحلّ الموت ولاح فجر الحياة، واستدعانا كملك عظيم من الجحيم إلى أرض عدم الفساد لكي نتمتّع بملكوته. لقد جعل آلة الموت خزانة حياة للعالم.

تجدر الملاحظة إلى أنّنا نطلب إلى الربّ، في هذه الخدمة، أن يحارب مع الملك ويدحض أعداءنا بسلاح الصليب، ونرتّل «خلّص يا ربّ شعبك وبارك ميراثك، وامنح ملوكنا المؤمنين الغلبة على البربر، واحفظ بقوّة صليبك جميع المختصّين بك». لقد استبدلنا كلمة «ملوكنا» بكلمة «عبيدك»، وكلمة «البربر» بكلمة «الشرير»، لكي تعبّر عن واقعنا الحالي، إذ ليس عندنا ملك ولم يعد هناك برابرة. تستدعي هذه الترتيلة حادثة الملك قسطنطين عندما ظهرت له علامة الصليب في السماء وسمع صوتًا قائلاً له: «بهذه العلامة تنتصر». الملك قسطنطين، والغالبيّة الساحقة من المسيحيّين، على مرّ العصور وحتّى يومنا هذا، فهموا أنّ الإنتصار يكون بإلغاء الأعداء، أي بقتلهم وإخضاعهم بالقوّة. غير أنّ هذا المفهوم يخالف تعاليم الربّ يسوع وعمله الخلاصيّ. كيف يمكن أن نطلب قتل أعداءنا ممّن طلب منّا: «أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥: ٤٤)؟ ما فعله الربّ على الصليب هو فعل محبّة قصوى، إذ سامح صالبيه وهو على الصليب، داعيًا إيّانا إلى محبّة الآخرين. الرسول بولس دعانا أيضًا إلى حمل «سيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف ٦: ١٧). من هنا، فإنّ سلاح الصليب هو سلاح المحبّة، ولا يمكن أن يكون له معنىً آخر: «لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة. لأنّه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم» (يو ٣: ١٦–١٧).

وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ كما دَعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيَر رئيسَ كهنةٍ بلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قالَ الربُّ من أرادَ أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أرادَ أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون

الموت حتّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوّةٍ.

تأمل

ما كان الشيطان منتصراً به هو ما انتصر به المسيح. فإذ سلبه المسيح سلاحه انتصر بهذا السلاح عليه، وهوذا كيف. لقد كانت العذراء والعود والموت علامات سقوطنا، فالعذراء كانت حواء، بما أنّها لم تكن بعد قد عرفت الرجل، والعود كان شجرة الفردوس، والموت بات عقاب آدم. لكن انظر، ها هي ذي أيضاً العذراء والعود والموت، وعلامات سقوطنا تلك قد صارت علامات انتصارنا. عوض حواء مريم، وعوض شجرة معرفة الخير والشر، شجرة الصليب، وعوض موت آدم، موتُ المسيح. عليه، ما كان الشيطان قد انتصر به هو ما هُزم به الآن. بالعود، كان الشيطان قد سبّب سقوط آدم، وبالصليب، انتصر المسيح على الشيطان. كان ذلك العود يقود آنذاك إلى الجحيم، أمّا هذا العود فقد أخرج من الجحيم

زمن الصوم

أن يقع الإنسان ويُجرَح هو أمرٌ طبيعيّ نتعرّض له يوميًّا، إلاّ أنّ المنطق والعقل يدفعان بالإنسان إلى النهوض من السقطة ومتابعة السير. لم نسمع يومًا بإنسان سقط ولم يحاول النهوض، لأنّ هذا يندرج ضمن إطار اللاّ منطق واللاّ عقل. الإنسان لا ينهض من السقطة في حالةٍ واحدة هي الموت، لأنْ عندئذٍ تنتفي القوّة وينتهي دور العقل في إرشاد الإنسان نحو النهوض.

إضافةً إلى ذلك، فإنّنا لم نسمع يومًا بأنّ إنسانًا مرض ولم يسعَ إلى الشفاء. نرى الإنسان مقبلاً نحو الأطبّاء ومستعينًا بالأدوية لكي يعود إلى حالته الطبيعيّة الأولى، حالة اللاّ مرض. ليس أحدٌ ينبذ صحّته إلّا الميت الذي لا إحساس له ولا قوّة. لولا وجود حالات الضعف، لَما كانت هناك ضرورة للبحث عن أدويةٍ وعلاجاتٍ جديدة. معلومٌ أيضًا أنّ نسبةً كبيرة من ميزانيّات الدول المتحضّرة والمتقدّمة تُصرف بهدف تطوير صحّة السكّان. إلى ذلك، فإنّ نسبة كبيرة من الميزانيّات تُصرف على أبحاث متخصّصة بإيجاد علاجاتٍ جديدة. الهدف الأساسيّ في هذه الحالات هو تقديم حياةٍ لائقة ومحترمة للشعوب.

إذا كانت هذه حال الإنسان الإجتماعيّة اليوميّة، فكيف تكون حياته الروحيّة؟ إذا قارب الإنسان حياته الإجتماعيّة من هذا المنظار، وثابر على النجاح، كيف يتصرّف إزاء سقطاته الروحيّة؟ إن كانت المجتمعات تهتمّ بالسكّان على هذا المنوال، فكيف تتصرّف الكنيسة مع أناسٍ محتاجين للنهوض؟ فلنذكر قول الربّ يسوع: «أيّ إنسانٍ منكم إذا سأله ابنه خبزًا يعطيه حجرًا وإن سأله سمكة يعطيه حيّة» (مت ٧: ٩-١٠). هذه شريعة البشر الطبيعيّة، أي ألاّ يقدّم الأهل لأبنائهم سوى الخيّر وما يصبّ في مصلحتهم. أمّا الآب السماويّ، كما يخبرنا الإنجيل، فأرسل ابنه الوحيد ربّنا يسوع المسيح مظهرًا عِظَمَ محبّته. يخبرنا الإنجيليّ يوحنا عن هذا المجيء بلسان الربّ يسوع: «أمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة ولتكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠). حسب هذه التعاليم، خطّ آباؤنا القدّيسون قوانين الكنيسة، ووضعوا سُبُل رعايتها لأبنائها. لا تتعاطى الكنيسة مع أبنائها كغرباء بل كأبناء للّه مختارين. لا تتعامل الكنيسة مع موتى وأشخاص غير قابلين الحياة، بل تحثّ أبناءها على الحياة وعدم الإستسلام للموت، موت الخطيئة. تحثُّهم على الإلتصاق بنبع الحياة لتكون لهم الحياة أفضل بالربّ يسوع.

لهذا، تحثّنا الكنيسة على الإستفادة من هذه الحياة مستغلّين زمان التوبة الذي نعيشه. مكان التوبة الحقيقيّ هو الكنيسة نفسها، حيث ينهض الإنسان بعد أن يقع، وعدم نهوضه مرفوض في منطق الكنيسة-الأمّ. النهوض في الحياة الروحيّة هو التوبة، التي بها يقرع الإنسان أبواب الفردوس. التوبة هي دعوة مفتوحة، عابرة للأزمنة والأماكن، والإنسان مدعوّ إلى ممارستها في كلّ لحظة من حياته.

يسارع الإنسان إلى تناول الأدوية فور شعوره بعوارض الألم

تفاديًا لازدياده أو لأن يصبح طريح الفراش. هذا الأمر علينا أن نعيشه كلّما شعرنا بأنّ أفكارنا ومشاغلنا بدأت تُبعدنا عن سُبُل الخلاص. حالُنا في هذه الحياة، حالُ مريضٍ يرفض الإستعانة بدواء ويحاول أن يداوي نفسه بنفسه. نُطعم أنفسنا الحجرَ عوض الخبز، ونعطي أنفسنا الحيّة عوض السمك، هذا إذا قارنّا أنفسنا بالذين خاطبهم الربّ يسوع كما ذكرنا سابقًا. هذه حالنا إن لم ننظر إلى الحياة بعينيّ الروح لنكون قريبين من الله. لذا، تطلب إلينا الكنيسة أن ندخل ميدان الجهاد الروحيّ، ميدان الصوم، لنعود إلى النقاوة التي خُلِقنا عليها وننظّف الصورة التي تتّسخ بسبب خطايانا اليوميّة. يتناول الإنسان في الصوم الأطعمة المناسبة له، وهي بمثابة الدواء للنفس، فينقطع عن بعض الأطعمة إلى جانب ممارسة الصلوات وأعمال الرحمة وغير ذلك من الفضائل. ليست هذه الفضائل سوى جسر عبور يضعه الربّ يسوع أمامنا لكي نبلغ النقاوة ونكون مستأهلين الحياة الأبديّة. إذًا، الصوم هو الطريق الذي يجنّبنا طرق الشرّير المعوجّة التي تودي بنا إلى الهلاك.

فلنتصرّف، ونحن أحياء، كأبناءٍ للنور لا كأبناء للظلمة. فلننهض من كبوَتِنا قبل أن تأتي الساعة التي نكون فيها أمواتًا بالروح والجسد. فلننقِّ النفس بالتوبة والإعتراف لكي ننال الحياة الأبديّة، فلا نعاني الموت بل نكون وارثين الخيرات الأبديّة.

الصليب

أسألكم أيُّها الإخوة الأعزاء أن تتأمّلوا في هاتين المسألتين: لِمَ نحن مسيحيّون؟ ولِمَ نحمل صليب المسيح على جباهنا؟ هنا، يجب أن نعلم بأنّ تلقّي اسم المسيحيّ لا يكفينا، بل من الضروريّ أيضاً أن نتصرّف كمسيحيّين، على ما يقول الربّ في الإنجيل: «لِمَ تدعونني يا ربّ يا ربّ، ولا تعملون بما أقول» (لو ٦: ٤٦). فلو سمّيت نفسك مسيحيًّا ألف مرةٍ ورسمت شارة الصليب بلا انقطاع، من دون أن تتصدّق بما في وسعك، ومن دون رغبة منك في أن تكون خيّراً وعادلًا وعفيفاً، فإنّ اسم المسيحيّ لا يمكنه إفادتك في شيء. ثمّ إن شارة المسيح وصليبَ المسيح غنًى عظيم، إذ بهذا الختم الثمين ينبغي رسم الأمور العظيمة والثمينة. فما النفع من خاتم ذهبيّ للختم يُخفى لاحقاً في التبن المتعفّن؟ ما النفع من وضع شارة المسيح على الجبين وفي الفم ثمّ إعادة الإثم والخطيئة إلى النفس؟ وعليه، فالذي يسيء التفكير ويسيء الكلام ويسيء التصرّف، رافضاً إصلاح نفسه، إنّما يفاقم خطيئته ولا يختزلها عند رسمه شارة الصليب.

القديس كيساريوس

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

أولئك الذين رحلوا إلى هناك. بالموت، صرنا نحن عادمي الموت. تلك هي مآثر الصليب، وهكذا تمّ كلُّ شيءٍ لأجلنا بيُسر. نحن لم نبلّل سلاحنا بالدم، ولم نتجنّد في فوج المقاتلين، ولم نتلقَّ الجراح، ولم نشهد الصراع، بيد أنّنا فُزنا بالغلبة. العمل الباهر إنّما يخصّ الربّ، والانتصار لأجلنا... هوذا ما عمله الصليب لأجلنا. الصليب هو علامة الظفر على الشياطين، وهو سلاحنا ضدّ الخطيئة، وهو السيف الذي به طعن المسيح الحيّة. صليب المسيح هو سيفٌ وعود، ولمّا ذُبح عليه المسيح بواسطة اليهود قتلة الإله، نقض أعمال الشيطان في تسميره خطايانا على العود. لذلك يُستعمل الصليب عند التبريك، كسلاحٍ قد خلّص الكون، وأبطل الضلالة، وأعاد الحريّة، وحوّل الأرض إلى سماء، وأوضح البشر كملائكة، وبفضله لم تعد الشياطين مرعبة بل محتَقَرة، ولم يعد الموت موتاً بل هو الرقاد.

القديس يوحنا الذهبي الفم